البحث مقدم الى

اللجنة التحضيرية لمؤتمر الغدير العالمي الثالث المحترمون

تحت عنوان

الامام علي عليه السلام واختياره للكوفة كمركزا لخلافته

من قبل

الدكتورة ايمان سالم الخفاجي

العتبة الكاظمية المقدسة

هاتف :٠٧٧٠٤٥٧١١٧٤

Eman_alkhafaji٦٠@yahoo.com

المقدمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات وبرحمته تمحى السيئات،والصلاة والسلام على سيد الخلق اجمعين محمد المصطفى واله الطيبين الطاهرين وبعد٠٠٠٠ انه لشرف عظيم لي أن حبانى الله بهذه الحبوة الالهية اذ حظيت بشرف المشاركة فى مؤتمر الغدير العالمى الثالث ، وبعد تصفحى سيرة الامام على بن ابى طالب عليه السلام وقع اختيارى على هذا الموضوع الذى يصب ضمن المحور الثانى (الامام امير المؤمنين عليه السلام والحكومةالاسلامية) وهذا الموضوع الذى سلطت فيه الضوء على جانب من حياة الامام عليه السلام وتراثه ومدى الصلة بينه وبين الرسول الاكرم عليه الصلاة والسلام .ان كلمة العظيم هي لله وحده ولكن الله كريم أيضاً بما اكرم من عبق عظمته من يستحقها من الناس، مع العلم ان العظمة تتفاوت من حيث القلة والكثرة والضعف والشدة وكذلك سائر الصفات الحميدة التي يعبر عنها بالفضائل وينعت بها البشر، فكيف استطيع ان اصف امير المؤمنين عليه السلام حق الوصف، واؤدي واجب المقام حق الاداء فالعجز عن التعبير لا يفارقني ان سيرته عليه السلام صفحة خالدة من صفحات المجد والسمو، نقرأ فيها عالم المثل العادلة ومبادئ العظمة والاستقامة والخصائص الفريدة حيث نطلع على سيرة رجل عاش لله وليس فيه شيء لغيره، يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه، اعظم الناس جهادا في سبيله واكثرهم معرفة بشريعته وعملا باحكامها واحياء لمعالمها، فجاءت سيرته تجسيدا لرسالة الاسلام بل كانت اسلاما يتحرك على الارض، انه الكتاب الناطق والسنة الحية.

واخيرا من فيض كثير الامام علي عليه السلام اخذت نزر قليل من صفاته وكرمه ووصاياه ووفائه وصدقه وزهده وصبره ،ومسك ختام بحثي الخاتمة ، اللهم وفقنا وسائر المشتغلين في حقول الهداية والمعرفة للعلم والعمل الصالح بمحمد وآله الطاهرين آملين منكم الدعاء للجميع بالتوفيق بالعلم والعمل الصالح .

القران الكريم وسيرة الرسول ﷺ واهل بيته عليهم السلام

من الله تعالى علينا نحن المسلمين بارسال نبيا كريما الينا من انفسنا وهي نعمة لاتقدر ومنحة عظيمة جليلة ليخرجنا من الظلمات إلى النور، ويتفضل علينا بهدايتنا إلى الصراط المستقيم، وسوقنا إلى اقصى درجات الكمال الذي فيه ينبع ديننا الكامل، ولنوحد الله في العبادة، ويقوم الاخلاق الدينية والاجتماعية التي تتفرع على تلك الدعوة إلى ذكره وشكره قال تعالى ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [1]، وقد وردت احاديث كثيرة عن الرسول الاكرم ﷺ وعن اهل بيته عليهم السلام في الذكر وفضائله وانواعه واوقاته واماكنه وادواته.وجاء في بعض الكتب المنزلة من الله على الانبياء عليهم السلام (وإن من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)[2]، وان حب الله يقطع المحب عن غيره من الموجودات وهذا ما يسمى بالانقطاع عند اهل المعرفة، وتموت النفس الامارة بالسوء وتبدأ الحياة العقلية للانسان وفي اعلى درجاتها تستضئ بصيرة الانسان بنور لقاء الله.وان الله سبحانه يمكن رؤيته بالرؤية العقلية والقلبية وهو ما اشار اليه امير المؤمنين عليه السلام حيث قال: (لاتدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملامس، بعيد منها غير مبائن، متكلم لابروية، ومريد بلا همة، صانع لا بجارحه، لطيف لا يوصف بالجفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصبر لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقة، تعنو الوجوه لعظمته، وتجب القلوب من مخافته)[3].ان ما انجبت الامة الاسلامية علماء في كافة الفنون وفي كافة العصور هو نتيجة جهد ومشقة وهذا ما يظهر له اثر من الكتب المبثوثة والتي تزخر المكتبات في ارجاء المعمورة ولعل ابرز ما تحدث عند وما مدحه المسلمون شخصية طالما كان لها اثر في حياة المسلمين تلك الشخصية التي ما فتئ احد يذكرها ويسرح خياله في ذلك العصر كيف امتاز عن بقية اقرانه، تلك الشخصية الاسلامية التي يكشفها من لاغبار على علمه تلك الشخصية (علي بن ابي طالب عليه السلام) وقربه من الرسول ﷺ فالكلام الذي يصدره امير المؤمنين عليه السلام هو موافق لما قاله النبي ﷺ وما قاله القران الكريم.وعن ابراهيم بن سعد عن ابيه قال النبي ﷺ لعلي: (أما ترض ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى)[4]. وهذه علامة مميزة لعلي عليه السلام كي يكون من الذين قال عنهم القران الكريم ﴿ **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** ﴾[5].وعن فاطمة سلام الله عليها: ان رسول الله (ﷺ) قال لها: (أما ترضين اني زوجتك اول المسلمين اسلاما، واعظمهم علما فانك سيدة نساء العالمين كما سادت مريم نساء قومها)[6].وعن زينب ابنة علي عليها السلام

---

(1) سورة ابراهيم: الاية ٧.

(2) مستدرك الوسائل: ح٥، ص٢٩٨.

(3) بحار الانوار، ح٤، ص٥٣.

(4) صحيح البخاري، ح٢، ص١٨٥ باب مناقب علي بن ابي طالب الهاشمي عليه السلام.

(5) سورة الرعد: الاية ٧.

(6) اسنى المطالب، العلامة الوصابي اليمني، مخطوط، اعلام الهداية، فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة النساء، مطبعة المجمع العالمي لاهل البيت، قم، ط٣، ح٣.

عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام (أما انك يا علي وشيعتك في الجنة)[1].وعن سهل بن سعد الانصاري قال: سالت فاطمة بنت رسول الله عليه السلام عن الائمة فقالت: (كان رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام: يا علي! انت الامام والخليفة بعدي، وانت اولى بالمؤمنين من انفسهم، فاذا مضيت فابنك الحسن اولى بالمؤمنين من انفسهم، فاذا مضى الحسن فابنك الحسين اولى بالمؤمنين من انفسهم... إلى اخر الحديث)[2].

أهل البيت وخيارات المواجهة

المدرسة الفكرية والفقهية لاهل البيت عليهم السلام تشكل رؤية شاملة للاسلام، وبرنامجا كاملا لتطبيقه، ولاشك انهم كانوا مهتمين ببث ونشر ما يعتقدون انه الفهم الصحيح للدين، وان ياخذ طريقه للتنفيذ والتجسيد في حياة المسلمين. ولوجود النص النبوي على مرجعيتهم كما في حديث الثقلين وحديث سفينة نوح وحديث الغدير وامثالها، وباعتبارهم الاكفأ والأعرف بشريعة الله تعالى، فان ائمة اهل البيت عليهم السلام يرون لانفسهم احقية الامامة والقيادة للامة.لكن ذلك لم يدفع ايا منهم للصراع والمغالبة على الحكم والسلطة، ولا للسعي من اجل الفرض والهيمنة على الجمهور.

الامام علي عليه السلام والخلافة

بعد وفاة رسول الله ﷺ ومبايعة ابي بكر بالخلافة في سقيفة بني ساعدة، كان هناك من يستحث الامام عليا للتصدي للخلافة كما ينقل ابن الاثير في تاريخه.. قال: (فقالت الانصار أو بعض الانصار، لا نبايع الا عليا... وقال الزبير: لا اغمد سيفا حتى يبايع علي.. اقبل ابو سفيان وهو يقول: اني لارى عجاجة لايطفئها الا دم، ثم قال لعلي: ابسط يدك ابايعك، فوالله لئن شئت لاملانها عليه خيلا ورجلا، فزجره علي وقال: والله انك ما اردت بهذا الا الفتنة، وانك والله طالما بغيت للاسلام شرا، لا حاجة لنا في نصيحتك)[3] ونحوه ورد في تاريخ تاريخ الطبري [4].

وينقل ابن قتيبة في كتابه (الامامة والسياسة) ان العباس بن عبد المطلب قال لعلي: ابسط يدك ابايعك، فيقال: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله [5] ويبايعك أهل بيتك، فان هذا الامر إذا كان لم يقل [6]، لكن عليا رفض ذلك حفاظا على وحدة الامة ومراعاة لخطورة الظروف.

ومرة اخرى عرضت الخلافة على الامام علي عليه السلام بعد مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب حيث كان واحدا من ستة عينهم الخليفة عمر ليختاروا احدهم خليفة للمسلمين فعرض عبد الرحمن بن عوف على الامام

([1]) دلائل الامامة: ٢ و٣ ومثله في ينابيع المودة ص٢٥٧.

([2]) يراجع كفاية الاثير: ١٩٣-٢٠٠، اعلام الهداية، ص٢٠٦.

([3]) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٠، ١١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٨٩م.

([4]) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٤٩، مؤسسة الاعلمي، بيروت.

([5]) مجلة الرسول الاعظم ﷺ: العدد ١٠ محرم ١٤٢٩هـ، ص٤٥.

([6]) ابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن مسلم، الامامة والسياسة، ج١، ص١٢، مؤسسة الحلبي، القاهرة.

علي عليه السلام بمحضر المسلمين في المسجد قائلا: هل انت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل ابي بكر وعمر؟ فقال: الامام علي: اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي [١].لقد فوت على نفسه الخلافة انذاك برفضه الالتزام بشرط لا يقتنع به، لانه لم يكن حريصا على السلطة بمقدار حرصه على مبادئه.

وقرأت مؤخرا تعليقا جميلا على هذه الحادثة التاريخية يقول فيه: (ولقد كان الجيل الاول من المسلمين رضوان الله عليهم يريد ان يجعل من تجربته السياسية والتنظيمية في ادارة الدولة، جزءا من الشريعة، لولا تصدي الامام علي بن ابي طالب –كرم الله وجهه– لمثل هذه المحاولة، وكلفه هذا التصدي التضحية بمنصب الخلافة، في اول عرض لتوليها، عندما رفض الالتزام بتجربة الشيخين بعد كتاب الله وسنة نبيه، إذ كان تقييمه لهذه التجربة لايعدو كونها اجتهادا بشريا، يسع من بعدهم، ويتسع لافاق المستقبل وبتضحيته هذه اوقف الامام –كرم الله وجهه– زحف الثابت من الدين إلى حدود تلك المساحات)[٢].

ويتحدث المؤرخون عن تمنع علي وعزوفه عن الخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان، لولا الحاح الجمهور عليه، قال ابن كثير: (وقد امتنع علي من اجابتهم إلى قبول الامارة حتى تكرر قولهم له، وفر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول، واغلق بابه، فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه، وجاؤوا معهم بطلحة والزبير فقالوا له: ان هذا الامر لايمكن بقاءه بلا امير، ولم يزالوا به حتى اجاب)[٣].وحينما تصدى للخلافة، واضطر لمواجهة فتن المناوئين في حرب الجمل وصفين والنهروان حفاظا على الامن والاستقرار ووحدة الامة، كانت تلك المواجهات مؤلمة له، وثقيلة على نفسه، ولولا كونه في موقع المسؤولية، لكان ابعد عن تلك الصراعات مع الطامحين للمواقع والمناصب، التي لا حرص له عليها، ولا رغبة له فيها، يقول عليه السلام: (أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما اخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها، ولسقيت اخرها بكاس اولها، ولالفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز)[٤].

الإمام علي يختار الكوفة مركزاً لخلافته :

المعلوم – تاريخياً– من أن الإمام علي عليه السلام بعد أن فرغ من حرب الجمل ، انتقل بحكومته من المدينة الى الكوفة واتخذ الكوفة قاعدة لحكمه ، والكوفة يومئذ مركز الثقل في المجتمع الاسلامي الناشئ ، ولوجود الاتباع والقواعد الشعبية الموالية لحكم الامام عليه السلام روحياً وعاطفياً ، وان كانت هذه القواعد لم تع رسالة الامام عليه السلام وعياً حقيقياً كاملاً . وكانت المدينة المنورة تمثل مركز القيادة السياسية والروحية للأمة الاسلامية اذ كان فيها اغلب المهاجرين والأنصار .والسؤال هنا لماذا تغيير مركز الخلافة ؟ وخصوصاً ان المدينة كانت تتمتع

---

(١) ابن كثير: ابو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، ج٧، ص١٤٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

(٢) الشطي: الدكتور إسماعيل الإسلام الذي نريد، مقال في جريدة الشرق الاوسط، ٧، ٦، ١٩٩٨م.

(٣) ابن كثير: ابو الفداء، البداية والنهاية، ج٧، ص٢١٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

(٤) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، خطبة رقم ٣.

بقدسية خاصة في نفوس المسلمين ، وقد استطاعت ان تثبت عملياً صلاحيتها لذلك ما يقرب من خمسة وثلاثين سنة ، فهل كان هذا التغيير أمراً عفويا من الامام عليه السلام أم انه امر مدروس ؟ في نطاق خطة ذات ابعاد استراتيجية واعتبارات عسكرية وقيادية ؟

ويمكن لنا ان نتعرف على ملامح هذه الخطة ، من ملاحظة الظروف والاحداث القاسية التي واجهت الامام عليه السلام ، فقد كان يواجه تحدياً سافرا من تلك الفئات التي كانت تحلم بالحصول على امتيازات اكبر على حساب الدين والامة وعلى حساب الشرعية ، فبعد معركة الجمل وبعد ان تفرق المتمردون ورجعت عائشة الى بيتها ، وجدد الناس بيعتهم له عليه السلام في البصرة واستتب الامن ، ولاها ابن عمه عبد الله ابن العباس ، وخرج منها بعد شهر او شهرين من انتهاء المعركة متجهاً نحو الكوفة ليتخذها مقراً له " [1] لان الامام عليه السلام قبل وقوع العصيان المسلح الذي قام به الحلف الثلاثي (طلحة ، الزبير ، عائشة) كان يعد العدة لارسال جيش قوي الى الشام يتولى قيادته بنفسه لاقصاء معاوية عنه ، مما دعاه الى ان يرجيء امر معاوية ريثما يساوي حسابه مع هذا الحلف ، ويفوت عليهم الفرصة التي كانوا يحلمون بها ، وبالطبع خلال تلك المدة كان معاوية قد استعد استعداداً كاملاً ووجد في تمرد المنشقين عنه في الحجاز ، فرصة لانجاز خطته . فانقاد اليه اهل الشام ، واظهروا غضبهم لمقتل عثمان ، وحرصهم على الطلب بدمه من علي واصحابه والحوا عليه في ذلك وهو مع ذلك يتأنى ويتخذ التدابير الكافية لكل الاحتمالات ، وكان مع ذلك يطمع في العراق ويرسل الى زعمائها وقادة الجيوش من من يمنيهم ويغيرهم حتى انقاد اليه جماعة منهم ، كل ذلك لم يغب عن علي عليه السلام وقد وضع في حسابه فأثر ان يكون على مقربة من معاوية فاختار الكوفة ليكون في مركز القوة عسكريا وسياسياً [2] .

وواضح من اختيار الامام عليه السلام ان المدينة لا تتوفر فيها عوامل النجاح العسكري والسياسي اذا ما اخذ حجم التحدي بنظر الاعتبار ، ومهما يكون من أمر فأننا نستطيع ان نجعل وضع المدينة في تقييم قدرتها على تحمل المواجهة في الامور التالية [3] :

أولاً : ان المدينة لم تكن تتوفر فيها كثافة سكانية كافية تستطيع ان تتحمل اعباء المواجهة للتحديات التي تنتظر هذا الحكم الجديد اذا ما اخذ حجم هذا التحدي بعين الاعتبار ، فلقد كانت تلوح في الافق رايات العصيان والتمرد على الشريعة ، فلقد استغل اهل الاطماع فئات كبيرة من الناس ووضللوها بالشبهات واستغلوا فيها بساطتها وعدم نضجها الرسالي لانها منذ البداية لم تتح لها فرصة التعرف على الاسلام الصحيح ، وانما عاشت الاسلام المتمثل بالسقيفة وما افرزته من اسلام منحرف ربت وانشأت عليه وكلنا يعرف ان الاسلام

---

[1] سيرة الأئمة / الحسني ج٢ ، ص : ٤٦٤ .

[2] راجع سيرة الائمة / الحسني ، ص ك ٤٦٥ – ٤٦٦ .

[3] راجع للاستفادة / مجلة الحكمة / العدد السنة / استراتيجية الامام/ للعاملي ص : ٣٣ .

الأموي ما هو الا اسلام اطماع ومآرب ولا يمكن ان يقاس باصالة اسلام الامام علي عليه السلام وعمقه ووعيه للرسالة .

واذا كانت كل هذه الفئات لم تتفاعل مع الاسلام الحقيقي تفاعلا يسمح لها بالرؤية الصحيحة لانها لم تعرف الا الاسلام الاموي ولا سيما بلاد الشام التي افتتحها يزيد ومعاوية ابن ابي سفيان عسكريا في عهد ابي بكر ، وظلت تعيش في ظل حكمهم باستمرار فمن الطبيعي ان لا تتورع عن مناهضة الشرعية والتمرد عليها .

ومن اين لمدينة ان تؤمن لعلي عليه السلام الجيش الذي يقدر به على المواجهة والاحتفاظ بالموقع ، فضلا عن انزال الضربة القاصمة والنصر ؟ وبديهي ان الاستعانة بالاعراب حول المدينة ، ان لم تكن مضرة فلا اقل من انها سوف لا تكون كافية لتحقيق كامل الاهداف وبشكل مرضي ودقيق .

أما الاعتماد على النجدات من سائر الاقطار الاخرى كالعراق وفارس مثلاً ، فلربما يكون من السهل جدا على اعداء علي عليه السلام عرقلة ومنع وصول من يريد الوصول اليه منهم بشكل طبيعي وسليم .

ثانياً لا تتوفر في المدينة الموارد الاقتصادية الضخمة التي تستطيع تأمين احتياجات الجيش يعد بعشرات الالوف ، لانها ارض صحراوية قاحلة ، ليس بها زرع ولا ضرع . وهي بعيدة عن مناطق التموين .

ثالثاً : ان المدينة لم تكن شديدة الولاء للشرعية المتمثلة بعلي عليه السلام حيث مركز ثقل الامويين ومحبيهم من التيميين ، الزبيريين ، ومن ينتمي اليهم من اهل الاطماع وبالتالي كل من وترهم الاسلام على يد الامام علي عليه السلام ... ومعنى اعتماد المدينة كقاعدة للخلافة وعاصمة لها هو ان تكون الاسرار العسكرية متوفرة لدى الجهة المناوئة ، وان تكون جبهة الامام عليه السلام امام تحدي الانهيار من الداخل وعرضة للاعمال الخيانية لصالح الناكثين والقاسطين . وذلك لوجود اعوانهم ومحبيهم بين ظهراني السلطة الحاكمة التي يستحيل ان تقدم على اي اجراء ضد اي شخص مادام الشخص لم يثبت اي اتهام ضده ، حتى تثبت ادانته بالطرق الشرعية .

رابعاً : ان الجيل الجديد الذي تربى في المدينة لم يكن قد اعتاد الحياة الصعبة التي تتطلبها الحروب الطويلة الطاحنة التي خاضها الامام علي عليه السلام لان شباب المدينة كانوا قد اعتادوا حياة الرخاء والدعة ، لانهم صاروا يعيشون على العطاءات السخية التي كان يغدقها عليهم خلفاء الذين سبقواعلي عليه السلام حتى اصبح من الصعب عليهم التخلص من اجواءالرفاه التي يعيشونها والتضحية بانفسهم للمصاعب والمشاق التي تتطلبها الحروب .

خامساً : لقد كان الاسلام جديداً على العراق ، وكانت العادات القبلية والجاهلية ، لاتزال تتحكم في روابطه وعلائقه الاجتماعية وكانت الحروب فيه محكومة لزعماء القبائل عموما ، لا للايمان والعقيدة ، وكانت المدينة ابعد عن ذلك ولو بشكل محدود ، فكان اغواء اهل العراق من قبل معاوية اقرب احتمالاً واسهل منالا ، واذا صار العراق مع معاوية فان وضع المدينة العسكري والاقتصادي سوف يصير حرج جداً ، ولهذا فلابد من تدارك الامر وحفظ العراق اولاً ، ثم استغلال روح التنافس التي كانت قائمة بين القطرين العراق والشام ، وحتى الروح القبلية ايضاً وتوظيفها في صالح الاسلام والامة بدلا من ان يستغلها معاوية في غير هذا السبيل

وهكذا نجد ان المدينة لا تستطيع في هذه الظروف بالذات ان تكون عاصمة للخلافة ، ومنطلقاً لتحركاتها بحرية ، وانما نجد الكوفة على الضد ، فهي بالاضافة الى قربها من الشام والبصرة ، وموقعها الوسط في قلب العالم الاسلامي ، مضافاً اليها المميزات التالية :

١- امتلاكها للطاقات البشرية التي تمكنها من مواجهة التحدي مهما كان كبيراً .

٢- قدرتها الاقتصادية على التموين المستمر للجيوش التي سوف تواجه الحرب ، لما تملكه هي والمناطق القريبةاليهامن ثروات زراعيةوموقع تجاري حيوي في المنطقةسواءبالنسبةللفرساوالعرب على حد سواء .

٣- ضآلةقدرةالاخطبوطالاموي،والتيمي،والزبيري،ومنوترهمالاسلامعلى يدعلي عليه السلام على التحرك والمناورةفيها

٤- لم يكن اهل الكوفة قد تعودوا على لذائذ الحياة وزبارجها ، وكان يسهل عليهم التضحية وخوض غمار الحروب وتحمل الصعاب . ولهذه الاسباب جميعاً ، جاء اختيار الامام عليه السلام للكوفة ، وذلك لاعتبارات استراتيجية وعسكرية فرضت عليه ذلك ولم يكن نقل العاصمة ضرباً من العفوية والارتجال [١] .

رفض الامام علي عليه السلام انصاف الحلول

والان نناقش رفض الإمام عليه السلام للمساومات ، هل كان عناداً ؟ ! بقيت ظاهرة مهمة في حياة الامام عليه السلام عندما كان حاكما متصرفا ومصرفاً لشؤون المسلمين نود مناقشتها والقاء الضوء عليها ، آلا وهي اصرار الامام عليه السلام وتأكيدها الواعي منذ ان مارس الحكم الى ان خر صريعاً ، على رفض كل الصيغ وانصاف الحلول التي واجهته في تصفية الانحراف ، ولم يفكر مطلقاً بمساومة الانحراف ومهادنته على حساب الامة بأي شكل من الاشكال . هذه الظاهرة من حياة الامام عليه السلام السياسية – رفض انصاف الحلول او قبول المساومات – استعرت انتباه واقلام اغلب المؤرخين ، قديماً وحديثاً وقد جاءت تحليلاتهم وكتاباتهم فجة بعيدة عن واقع التاريخ وعن فهم صحيح لحقيقة موقف الامام عليه السلام .

أما الامام علي عليه السلام فقد كان حريصاً كل الحرص في معالجة مشاكل عصره ، وعلى اعطاء العناوين الاولية الاصيلة للصيغة الاسلامية للحياة ، والوقوف على التكليف الواقعي الاولي كما يسميه الاصوليون دون ان يتجاوزها الى ضرورات استثنائية تساومية تفرضها طبيعة الملابسات والظروف الانية العاجلة . وسوف نناقش هذه الظاهرة ، وكالاتي :

اولا – المستوى السياسي

ثانيا – المستوى الفقهي [٢] .

الدوافع والاسباب :

١- المستوى السياسي : وعلى الصعيد السياسي ، نرى ان هناك اشخاصاً عاصروا الامام عليه السلام وكان رأيهم في الامام عليه السلام ومعالجته لمسائل الحكم واصرارهم على استبعاد او رفض كل اشكال المساومات

---

[١]) مجلة الحكمة / العدد الرابع / السنة ١٤٠٠ هـ ، العاملي :مقالة استراتيجية الكوفة في خلافة الامام علي (ع) / ص : ٢٩ – ٣٠ .

[٢]) ينظر في هذا البحث على ما جاء في محاضرة السيد الشهيد الصدر على طلبته في النجف الاشرف .

وانصاف الحلول لوناً من الوان العناد ، وهو بالتالي يعقد الموقف ويثير الصعاب في دولته ، ومعناه ترسيخ تلك المشاكل ، بالنهاية عجز الامام عليه السلام عن مواجة حلها وسوف تشغله عن مهامه الرئيسية في ادارة الحكم والمضي بتجربته الى حيث يريد ، وخصوصاً الى ان الاصرار والالحاح على التمسك بالمواقف المبدأية يسجعل القضية في طريق مسدود ، ولا بأس ان تعتبر كلا الطرفين المتنازعين ان هذا الامر تنازلا مرحليا من قبلهً ليخطط على ضوءه للمرحلة المقبلة من المفاوضات مثلاً [1] .

وقد جاءه المغيرة بن شعبة مقترحاً ابقاء معاوية واليا على الشام ريثما تستتب الامور وبعد ذلك سوف لا يبايع ، وبالامكان استبداله وتغييره بعد ان تتم البيعة في كل اطراف الدولة للامام عليه السلام .

ونفس القول قاله جرير بن عبد الله للامام عليه السلام طالباً منه ان يوسطه للامر " ابعثني يا أمير المؤمنين الى معاوية فآتيه فادعوه على ان يسلم لك هذا الامر ، ويجامعك على الحق على ان يكون اميرا من امرائك وعاملاً من عمالك " [2] . ولكن الامام عليه السلام رفض عرض جرير بن عبد الله ورد عليه قائلاً : " اذهب الى معاوية بكتابي فان دخل في ما دخل فيه المسلمون والا فانبذ اليه واعلمه اني لا ارضى به اميرا وان العامة لا ترضى به خليفة " [3]. اما معاوية فيزور جرير بمنزله مساوماً اياه بقوله " يا جرير اني قد رأيت رأياً ، قال هاته . قال : اكتب على صاحبك (علي) يجعل لي الشام ومصر جابة فاذا حضرته الوفاة لم يجعل لاحد بعده بيعة عن عنقي واسلم له هذا الامر ، واكتب اليه الخلافة " .

مضمون رسالة جرير للامام علي عليه السلام

ويكتب جرير ناقلاً مضمون الرسالة للامام عليه السلام ويجيبه الامام عليه السلام : " اما بعد فانما اراد معاوية الا يكون لي في عنقه بيعة وان يختار من امره ما يحب ، واراد ان يريثك حتى يذوق الشام وان المغيرة بن شعبة قد كان اشار علي ان استعمل معاوية على الشام ، وانا بالمدينة فأبيت ذلك عليه ، ولم يكن الله ليراني اتخذ المضللين عضداً ، فان بايعك الرجل ، والا فاقبل " .

فالامام (ع) في جواب هذا الشخص رفض كل هذه المساومات وانصاف الحلول ، واستمر في خطه السياسي الرافض ، مؤكداً سياسته في رفض هذه التنازلات بقوله (ع) : " ولكني آسي ان يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولاً ، وعباده خولا والصالحين حرباً ، والفاسقين حزباً ، فان منهم الذي قد شرب فيكم الحرام ، وجلد حداً في الاسلام ، وان منهم من لم يسلم الا بعد ان رضخت له على الاسلام الرضائخ " [4].وقال بصدد الاموال المغصوبة وردها الى بيت المال : "وكل مال اعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال فأن الحق لا يبطله شيء ، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق " [5].

---

[1] من حياة اهل البيت /التسخيري ص : ٢١ .

[2] كتاب صفين ٢٧ – ٢٨ ، لنصر بن مزاحم .

[3] ن م ص : ٢٨ .

[4] نهج البلاغة ج١ ص :٥٩ وشرح النهج ج ص : ٢٦٩– ٢٧٠ .

[5] نهج البلاغة ج١ ص :٥٩ وشرح النهج ج ص : ٢٦٩– ٢٧٠ .

ومن هنا بالذات ، جاءت اقوال بعض المعاصرين ، ويردده عندنا بعض المؤرخين والكتاب بأن الامام عليه السلام كان بامكانه ان يسجل نجاحاً اكيدا ونصرا محققا من الناحية السياسية على اعدائه لو قبل انصاف الحلول ومارس هذا اللون من المساومات ولو بشكل مؤقت .

٢- المستوى الفقهي : ونتناوله من خلال مفهوم فقهي شائع يدعى (بقانون التزاحم) أو ما يسمى في البحوث السنية (بالاستحسان) ، ويعنون به ان الواجب الأهم اذا توقف على مقدمة محرمة لا يجوز تركه بحجة حرمة المقدمة بل يجب المحافظة على الواجب الأهم فمثلاً عندما يتوقف انقاذ انسان من الغرق على اجتياز ارض لا يرضى صاحبها باجتيازها ففي هذه الحالة يجيز لنا الشارع المقدس اجتياز الأرض حتى ولو بدون رضى المالك ، وتسقط حرمة هذه الملكية لان عملية الانقاذ اهم من المقدمة المحرمة وهي اجتياز الارض دون رضى المالك وكذلك " اذا تترس الكفار المحاربون اثناء الحرب بالمسلمين الاسرى واضعين اياهم امامهم ليتقوا هجوم المسلمين ولم يكن للمسليمن سبيل بالوصول الى العدو الا باختراق المسلمين الاسرى وبسفك دمائهم فيكون جائزاً سفك دمائهم اذا كانوا يشكلون عقبة في انتشار الرسالة الاسلامية وبهذا المعنى كتب الشهيد الاول في اللمعة الدمشقية يقول :" وهكذا يجوز قتل الترس ممن لا يقتل ، ولو تترسوا بالمسلمين كف ما أمكن ومع التعذر فلا قود ولا دية " [1] وكذلك عندما كان الرسول (صلى الله عليه وآله) في بعض غزواته مضطراً الى الخروج من المدينة عن طريق معين تعترضه نزارع مملوكة لاصحابها وكان الجيش بطبيعة مروره يتلف كثيراً من محاصيل هذه المزارع مما دعا اصحابها الى ان يطالبوا الرسول (صلى الله عليه وآله) بالتعويض عما اصابهم من ضرر فلم يجبهم الرسول(صلى الله عليه وآله) كل ذلك لان النتيجة كانت اهم من المقدمة لان هذا الجيش الفاتح كان يسير لاجل ان يغير وجه الدنيا ويخرج اهلها من الظلمات الى النور فما قيمة تلف مزرعة صغيرة اذا كان الجيش الاسلامي بأهدافه العظيمة سوف يحفظ لنا المبدأ الاسلامي العادل في توزيع الثروات في العالم على الخط الطويل . وهذا أمر معقول من الناحية الفقهية لان القاعدة تقرر بأن الواجب اذا توقف على مقدمة محرمة وكان ملاك الوجوب أقوى من ملاك الحرمة فلا بد من تقديم الواجب على الحرام .

لماذا لم يطبق الامام عليه السلام هذه القاعدة الفقهية في تصرفاته ومواقفه السياسية

ومن هنا يقرر المعارضون لسياسة الامام عليه السلام لو ان علياً استفاد من تطبيق هذه القاعدة الفقهية واتجهت جهوده الى الواجب الاكبر في تملك زمام قيادة المجتمع الاسلامي والعمل على احراز المكاسب الاسلامية الكبيرة من خلالها ولا بأس ان تبقى بعض المحرمات في سبيل الحفاظ على الواجب الاكبر مادامت مبرراتها الشرعية الفقهية موجودة ، ولاسيما تملك الامام عليه السلام لزمام القيادة سوف يفتح على المسلمين ابواب الخير والسعادة ويقيم فيهم حكومة الله على الأرض .

---

[1] نهج البلاغة ، ج١ ص : ٢١٧ ، ؛ ثورة الحسين / شمس الدين ، ص : ٥٤ .

فالسؤال بشكل أدق هو لماذا يتوجه الامام(ع) الى تحقيق الهدف الاكبر ويترك لمعاوية ولاية الشام ولو الى حين ويصرف نظره عن الاموال المسروقة التي نهبها بنو أمية من بيت مال المسلمين مؤقتاً ولماذا لا يكون عمله هذا تطبيقا حياً لمفهوم التزاحم الذي تكلمنا عنه ، وذلك بتقديم الأهم على المهم كما يريد هؤلاء ؟! حيث صرحوا للامام في معرض اقناعه بضرورة المساومة من ان بقاء معاوية وان كان له ضرر وخطره على الامة الاسلامية الا ان بقاء وديمومة دولة الامام(ع) وانتشار نفوذه وفرصة بناء القاعدة الشعبية لحكم الامام (ع) واجلاء الاطروحة الاسلامية الصحيحة مما علق بها من المسخ والتشويه وتأكيد معالمها في الحياة الاجتماعية بالاضافة للجوانب الحياتية الاخرى وبعد ان يتمكن من كل هذا ويتقوى على عدوه فانه (ع) يبادر حينذاك بتصفية البؤر المضادة لحكمه واحداً بعد الآخر ومن موقع القوة .

فهؤلاء المعترضون تصوروا قيام (تزاحم) بين اهم ومهم فجاء اقتراحهم هذا لابقاء معاوية على ولاية الشام لكي تبقى دولة الامام(ع) ومن ثم التحرك على الفتنة والقضاء عليها . ونحاول الاجابة على كل هذ التساؤلات ونقول بأن القاعدة الفقهية التي تحدثنا عنها سابقاً ليست صالحة للاطباق على مواقف الامام(ع) ولم يكن الامام كقائد رسالي يمثل الاسلام واهدافه وان يقبل هذه المساومات وانصاف الحلول وذلك لملاحظة النقاط التالية واخذها بنظر الاعتبار .

النقطة الاولى : كانت من اهم اهداف الامام (ع) التي رسمها منهجاً لسلوكه السياسي : هو توطيد وترسيخ قاعدة حكمه في قطر من اقطار العالم الاسلامي ، الا وهو العراق وذلك لوجود الاتباع والقواعد الشعبية الموالية لحكمه روحياً وعاطفياً وان كان العراقيون لا يعون رسالته وعياً حقيقياً كاملاً . ولهذا كان الامام (ع) بحاجة ملحة لبناء طليعة واعية في دولته الجديدة التي كان يخطط لانشائها في العراق تلك الطليعة الواعية التي تكون امينة على الرسالة واهدافها ، وساعدا ومنطلقا له على ترسيخ هذه الاهداف في كل ارجاء العالم الاسلامي . فالامام(ع) منذ تسلمه للحكم كان يشعر بوجوب بنلء هذه الكوادر الطليعية المؤمنة والتي سوف تشرف على القاعدة الشعبية والتي ستكون سنده في تسيير الحكم . فالامام لم يكن يملك هذه الطليعة الواعية بل كان بحاجة الى ان يبنيها . وكيف تواتيه فرصة البناء العقائدي وهو في جو ملبد من المساومات وانصاف الحلول حتى ولو كانت المساومة جائزة شرعاً ومستوفية لشروط قانون التزاحم الفقهي وذلك لان التربية الروحية والفكرية والعاطفية التي استهدفها الامام (ع) في طليعته الواعية لا يمكن ان تنمو بذورها في اوساط قواعده الشعبية والامام(ع) يعيش جو المساومات وانضاف الحلول . فالامام (ع) يشعر شعوراً قويا وملحاً بأن دولته والامة من بعد دولته لابد لهما من طليعة وقاعدة واعية تعتمد في حمل الاهداف الرسالية وترسيخها في واقع الامة وارجاء عالمها المترامي ، كانت هذه القاعدة الواعية قدرة في ممارسة الحكم الاسلامي الصحيح . وهذه القاعدة الشعبية الواعية لم تكن جاهزة عند استلامه الحكم حتى يستطيع الاتفاق معها او يقنعها بوجهة نظره في المساومات وتبرير ضرورتها الاستثنائية . بل ان الظروف وملابسات الواقع آنذاك تطلبت منه بذل كل الجهود لبناء جيش عقائدي واع بروحه وفكره وعاطفته امثال عمار بن ياسر وأبي ذر ومالك الاشر وغيرهم من طليعة الامام الواعية .

فبناء هذه الطليعة وتلك القاعدة ليس سهلا ولا ممكناً لو ان الامام (ع) اتجه لسلوك سبيل المساومات وانصاف الحلول فهي تناقض وعمله التربوي في بناء الجيش العقائدي الواعي فافتقاده (ع) لهذا الجيش معناه فقدانه القوة الحقيقية التي يعتمدها في بناء الدولة الاسلامية ٠ ومن هنا كانت قناعة الامام (ع) وحرصه على ان يحتفظ بطهر وصفاء عملية التربية في بناء جيشه العقائدي الواعي فجاءت ممارساته ايحاءات تربوية تغييرية يكون فيها القدوة تتعلم فيها القواعد وتتزود بها الطليعة الواعية فكان عليه ان يظهر امامهم قائداً لا تزعزعه المغريات ولا يتنازل لاي نوع من المساومات حتى يعين (ع) تلك الطلائع من خلال هذه المواقف الثابتة ان يبنوا المدلول الرسالي لاطروحته بأبعادها الواسعة للحياة . ومن هنا نفهم موقف الامام (ع) في رفضه لكل المساومات والحلول الوسط من اجل اتمام هدفه في بناء جيش عقائدي وخلق جو نفسي وفكري وعاطفي ليكون ذلك الجيل مواكباً للاهداف العظيمة في حياته وبعد مماته .وكان يعني قبول الامام (ع) لأي شكل من اشكال التنازل معناه فشله في تربية الفئة الواعية المدركة لمبادئها واهدافها وضياع لأهم ضمان للنجاح وهو اطمئنان اصحابه وقواعده بقائدهم والشعور بالثقة الكاملة واخلاصه ، ولا يمكن ان يتصور هؤلاء امامهم (ع) الذي قال بحث معاوية وامثاله من بني أمية : " الا وان اخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية فأنها عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها واصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ البلاء من عمي عنها ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى " [١].ويصف رايتهم بأنها :
" راية ضلال ، قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها تكليكم بصاعها وتخبطكم بباعها قائدها خارج من الملة قائم على الظلة " [٢] " وانهم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام "[٣] .ومن هنا نخلص الى نتيجة : ان جو المساومة لا يخلق الجو الرفيع نفسياً وفكريا وروحياً ولا يتلائم مع خططه التربوية في بناء جيل عقائدي واعي

النقطة الثانية : ان استلام الامام (ع) للحكم جاء اعقاب الثورة على خليفة المسلمين عثمان اي على اثر ارتفاع وانفجار العواطف التي وصلت ذروتها في مقتل عثمان والاطاحة بحكمه لانحرافه عن كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) حيث ان مجيء الامام (ع) لم يكن مجيئاً عاديا يقول الامام (ع) بهذا الصدد " فأُبلتم الي اقبال العوذ المطافيل على اولادها تقولون : البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها " [٤] بل جاء في لحظة الثورة وهي تركيز وتعبئة وتجميع كل الطاقات العاطفية والنفسية في الامة الاسلامية فكان لابد للامام (ع) ان يغتنم هذه اللحظة المليئة بكل ما استنبطته من زخم وطاقات عاطفية ونفسية وفكرية وماذا ينتظر القائد الرسالي غير لحظة ارتفاع في حياة الامة لكي ان يستثمر هذه اللحظة في سبيل اعادة هذه الامة الى مسيرها الطبيعي٠ " وقد كان لهذه السرعة في تطبيق الاصلاحات الجذرية اثرها المزدوج في الوصول نحو الهدف فهو من جهة : يستفيد من الطاقات المتأججة فعلاً والتي تسترخص البذل في سبيل تحقيق النتيجة

---

[١] نهج البلاغة ،ص : ١٣٨ .

[٢] نفس المصدر السابق .،ص : ١٥٦ .

[٣] نفس المصدر السابق ، ص : ٢٢٤ .

[٤] نهج البلاغة رقم النص : ١٣٧ .

ومن جهة اخرى ك يشارك في ابقاء الجذوة متقدة لفترة اطول مما يساعد على امكانية التقدم بعملية الاصلاح وترسيخها في المجتمع وهذه السرعة بالتالي ستفاجئ القوى المنحرفة فلا تدع لها مجالا للتخطيط والمؤامرة "[1]

النقطة الثالثة : أراد الامام (ع) ان تدرك الامة انذاك وتتفهم بان واقع المعركة بينه وبين خصومه ليست معركة ذاتية بينه وبين معاوية او بين قبيلتين (بني هاشم وبني امية)، وانما هي معركة الاسلام مع الجاهلية ، وقد حرص (ع) كل الحرص في توعية الناس بان واقع المعركة هي عين معركة رسول الله (ﷺ) مع الجاهلية التي حاربته في بدر واحد ،والامام علي عليه السلام كانت مهمته الرسالية الكبرى ، هي ان يحافظ على وجود الامة دون ان تتنازل الامة الاسلامية عن كيانها وكرامتها ووجودها . ولا يمكن تفسير عمل الامام (ع) الا انه راض وقابل بمواكبة المؤامرة ولا يمكن نفترض بان للامام ان يساهم في هذه المؤامرة ولو ان الامام هادن معاوية ، فان موقفه المساوم هذا يعني آمرين :الأول : منح معاوية فرصة ثمينة ليحكم قبضته ويستفيد من الموقف ويكسب الشرعية وهذا يعني في ادراك الامام (ع) التفريط في مستقبل الامة ولمستقبل تجربتها الاسلامية ككل . وهذا يعني ان تباع الامة بعقد يقبل الفسخ لأناس ارادوا ان يبيعوها بعقد لا يقبل الفسخ . والثاني : تفاقم ظاهرة الشك (المصطنع) وفقدان الثقة بالقائد وشرط الثقة بالقائد من الشروط المهمة لحصول التأثير المطلوب في الأمة . وكان الامام (ع) يمثل رمز القيادة الواعية التي تريد ان تربي الامة على المدى الطويل ، فان وجدته الامة وهو يساوم عليها ويبيعها لحكام ظلمة فقدت بالضرورة ثقتها وولائها به . ومن الملاحظ – تاريخيا– في اواخر حياته عليه السلام ان روح الشك قد سرت في بعض قطاعات الامة (الشك في واقع معركته مع معاوية) رغم ان عوامل ذلك الشك كانت عوامل تبريرية ذاتية لكن دون ان يكون لها مبرر موضوعي خارجي ٠ ولهذا كان تصميم الامام (ع) على ان يجابه المؤامرة ويفضحها قبل ان تتجذر في واقع الامة فأعلن الحرب دون هوادةعلى كل هذه البؤر بعد ان اعلن لمن طلبوا منه قبول انصاف الحلول انه قد قلب هذا الامر ظهره وبطنه فلم يجد الا القتال او الكفر بما انزل الله على محمد (ﷺ)[2] .

النقطة الرابعة :

لم يركز الامام (ع) في طريقة تعامله مع مشكلة الانحراف وايجاد حل لها بالفترة الزمنية القصيرة التي عاشها فقط وانما كان يحمل طموحاً وهدفاً اكبر من ذلك كان يتعامل مع التاريخ اكثر مما كان يتعامل مع فترة حكمه القصيرة . فقدم منهجه للتأريخ فخلده الاريخ كأعظم انسان بعد النبي (ﷺ) وأكمل خطاه وسار على منهجه اروع سيرة فكان اسلاماُ مجسداً حقاً . الامام علي(ع) كان قد وعى مشكلته انذاك بانه قد ادرك المريض وهو في اخر مرضه حيث لا ينفع العلاج . هذه الحقيقة الجلية ، دفعت امامنا (ع) ان يفكر بأشواط اطول واوسع لخوض معركته الرسالية ولم يدر في خلد يوماً ان يركز على الفترة الزمنية القصيرة من سني

---

[1] من حياة اهل البيت / التسخيري ص : ٧٧ .

[2] صفين / ص : ٤٧٤ .

حكمه التي عاشها بل كان يتلخص ايمانه بأن الاسلام بحاجة الى ان تقدم له في خضم تعقيدات الانحراف اطروحة واضحة نقية لا شائبة فيها ولا غموض ولا التواء ولا تعقيد ولا مساومة فيها ولا نفاق .

وهذه الامةالتي هي اشرف امم الارض برسالتهالا يمكن لها ان تحفظ هذه العلاقة بينها وبين الاسلام على اساس معطيات (اسلام السقيفة) الذي انتج للامة الاسلامية قادة منحرفين امثال – معاوية بن ابي سفيان ويزيد وعبد الملك بن مروان وهارون الرشيد ولكي تحفظ هذه الصلة بين الامة ورسالتها العظيمة لابد من اعطاء صورة واضحة محددة للاسلام وهذه الصورة :

اعطيت نظريا : على مستوى ثقافة اهل البيت (ع)٠

اعطيت عملياً : على مستوى تجربة حكم الامام علي (ع) .

ولهذا كان الامام (ع) يستغل كل الفرص ليعمل على تعميق وعي الاسلام في الامة ويربي الطليعة المؤمنة التي تشكل على المدى الطويل الرابط الحقيقي بين الاسلام والامة وليضع المنهج الذي يبقى في وعي الامة منهجاً اسلاميا حقا وتبقى تقارن بينه وبين منهج اي حكم يأتي من بعده فتعيدها هذه المقارنة الى صحتها وتبرق في ضميرها بوارق العودة الى الاسلام من جديد[١] .

ومن هنا جاء تأكيد الامام (ع) على العناوين الأولية في التشريع الاسلامي وعلى خطوطه الرئيسية لكي يقوم المنهاج الاسلامي واضحاً غير ملوث بلوثة الانحراف التي كتبت على تاريخ الاسلام مدة طويلة من الزمن وقد استمر الامام (ع) في صموده ومواجهته لكل المؤامرات التي ساهمت في صنعها الامة – المضللة الغافلة – على اساس جهلها وعدم وعيها وادراكها وشعورها بالدور الحقيقي الذي يمارسه الامام (ع) في سبيل حماية وجودها من الضياع وحماية كرامتها من ان تتحول الى سلعة تباع وتشترى . ولهذا كان يحرص الامام (ع) كل الحرص على طرح الصيغة الاسلامية الكاملة للحياة والوقوف على التكليف الواقعي دون القفز عليه او تجاوزه الى ضرورات استثنائية تفرضها طبيعة الملابسات والظروف المعقدة[٢] . ضروريات استثنائية تفرضها الملابسات والظروف المعقدة " [٣]ولو ان الامام (ع) كان قد مارس قبول انصاف الحلول وباع الامة عن ارادتهامع خيارالفسخ اذن لكان بها قد اشترك في انجاح هذه المؤامرة وسلخ الامة عن ارادتها وشخصيتهاوكانت الامة انذاك بحاجة كبيرة لكي تستطيع ان تكون على مستوى المسؤولية والمقدرة لكي تتخلص من تبعات هذه المؤامرة ، فكان لا بد لها ان تشعر بكرامتها وارادتها وحريتها واصالتها وهي تعيش الصراع مع الجاهلية ، وهذا كله مما لا يتفق مع ممارسة الامام (ع) لانصاف الحلول .

النقطة الخامسة:

---

[١]) التسخيري ،من حياة اهل البيت ، ص ، ١٣٣

[٢]) نفس المصدر / ص : ١٤٦ .

[٣]) نفس المصدر /ص: ١٤٦

تحدثنا الروايات التاريخية ، بما لا مزيد عليه ، عن صور والوان مخزية من الانحرافات والفساد بكل معنى الكلمة فقد كان وضعا يشهد سباقا الى اللهو والمجون والفجور." ولم يكن ولاة عثمان هؤلاء من ذوي السابقة في الدين والجهاد في الاسلام ، وانما كانوا مهتمين في دينهم ، بل كان فيهم من أمره في الفسق ، ورقة الدين معروف مشهور: كان فيهم عبدالله بن سعد الذي بالغ في ايذاء النبي (ﷺ) والسخر م وبالغ في الهزء بالقرأن حتى نزل القرأن بكفره ، والوليد بن عقبة ممن امرهم في الفسق معروف مشهور، وقد نزل فيه قرأن يعلن فسقه"[١]أما سعيد بن العاص الذي خلف الوليد فقد استقبله الكوفيون بالكراهية وعدم الرضا لأنه كان شابا مترفا لا يتحرج من الاثم ولا يتورع من الافك.روى ابن سعد : أن قال مرة في رمضانبعد ان ولي المصر: من رأى منكم الهلال؟ فقال له هاشم بن عتبة الصحابي العظيم: " أنا رأيته وأصبح هاشم داره مفطرا عملا بقول رسول الله (ﷺ): " صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته" وفطر الناس لافطاره وبلغ ذلك سعيدا فارسل اليه وضربه وحرق داره[٢]. وكذلك عبدالله بن عامر بن كريز ، اذ ولي البصرة وهو ابن اربع وعشرين سنة وقد سار سيرة البذخ والترف . وقد قام مقتل عثمان بنهب مافي بيت مال المسلمين في البصرة وسار الى مكة وانضم الى المتمردين على الامام علي (ع) [٣] وناهيك عن الحديث عن معاوية وترفه. فاذا كان ولاة الامصار الهامة هم بهذه المنزلة فماذا نتوقع من الجهاز الاداري الاصغر من هؤلاء والذي كان يضج بالترف والفساد[٤]

من خلال هذه الحقيقة ، نفترض ونقول : لو ان الامام علي(ع) كان قد امضى هذه الاجهزة الفاسدة ، بكل فسقها وفجورها ، فليس من المعقول- بمقتض طبيعة الاشياء – ان يتمكن الامام (ع) من ممارسة عملية التغيير الحقيقي في تجربته السياسية التي يتزعم قيادتها .والحقيقة هي : ان اي موقف رسالي يستهدف تغييرا جذريا واصلاحا حقيقيا في بيئة او اي مجتمع من المجتمعات تشمله هذه الحقيقة المطلقة وهي " ان كل اصلاح وتغيير، لا يمكن ان ينشأ أو ان ينبثق من خلال الاوصاع والاجهزة الفاسدة نفسها ، بل لابد من نسف وازالة هذه الاوصاع ومؤسساتها المعطلة لمهمة التغيير والاصلاح. ان القائد ، يستمد قوته وقدرته من أسباب النصر الطبيعية اي من تلك الركائز نفسها ، بعد ان تتعمق وتنمو هذه القدرت عنده باستمرار ، من خلال اجهزته ومؤسساته التي هي قوته التنفيذية ، والتي هي واجهته وتعبيره وتخطيطه الى الامة .

النقطة السادسة :

ان الامامعليه السلامولوكان قد امضى ولو مؤقتاالاجهزة الفاسدة التي خلفها عثمان بن عفان وعلى رأسها ، اقصاء حاكمية معاوية بن ابي سفيان وبتعبيراخر لوباع الامامعليه السلام الامة لمعاوية بيعاً مرحليا مؤقت مع خيارالفسخ لحصلكل ما في الامرعلى نقطة قوة مؤقتة وفقاً للنصائح التي اسديت للإمام في هذا المجالونقطة القوة هنا هي ان معاوية سوف يبايعه ومعه اهل الشام هذه القوة التي سيكسبها الامام (ع) في حساب عملية التغيير تقابلها

---

[١] عن ثورة الحسين / شمس الدين / ص: ٣٨.

[٢] عن كتاب حياة الامام الحسن / ص: ٢٦٣.

[٣] أسد الغابة ج٣/ص: ٢٦٣ .

[٤] راجع للاستفسار من حياة اهل البيت (ع) /التسخيري / ص: ١٤٣.

نقطة قوة سوف يحصل عليها معاوية الا وهو اعتراف الامام (ع) بشرعية معاوية في الحكم وبأن معاوية رجل على اقل تقديرسيوصف بأنه عامل قدير على تسيير مهام الدولة وحماية مصالح المسلمين ورعاية شؤونهم .

فهناك اذن اعتراف من قبل الامام (ع) يعطي نقطة قوة لمعاوية في مقابلها نقطة قوة يأخذها الامام عن طريق الامضاء المؤقت لولاية معاوية ورضوخه لسلطان الامام الشكلي وتحييده من مخالفته للاسلام والامام وهذا الامضاء المؤقت سيتيح للامام الفرصة للقضاء على اعدائه بالتدريج وتصفية بؤرهم وتنفيذ اطروحته في نهاية الامر . ولا يعني هذا ان معاوية عندما يبايع او يأخذ البيعة لخليفة في المدينة ان جيشاً في الحكومة المركزية سوف يدخل الشام وان هناك ارتباطا عسكريا حقيقيا سوف يوجد بين الشام وبين الحكومة المركزية وانما يبقى بعداخذ البيعة ايضاهذا الوالي همزة الوصل الحقيقية والفعالة بين هذا البلد وبين الحكومة المركزية .

فضعف الحكومة المركزية من ناحية وترسخ معاوية وقدم ولايته في الشام من ناحية اخرى وخصوصا ان الشاميين لم يعرفوا حاكماً مسلما قبل معاوية واخيه يزيد منذ دشن الشام حياته الاسلامية الاستثنائية والتي اعطيت له من قبل عمر بن الخطاب واعطيت معه له الصلاحيات الاستثنائية في ان ينشئ له سلطنة وملكية في الشام بدعوى ان هذه السلطنة ستكون مظهر عز وجلال للاسلام في مقابل دولة القياصرة٠ بينما الامام (ع) اذا اراد بعد هذا الموقف ان يعزل معاوية من ولاية الشام كان باستطاعة معاوية ان يثير في وجه الامام (ع) بالاضافة الى جانب وجوده المادي المترسخ منذ زمن طويل في الشام – الشبهات على المستوى التشريعي والاسلامي متسائلاً اما الناس . لماذا يعزلني الامام علي ؟! وخصوصا بعد ان اعترف بأني حاكم كفؤ صالح لادارة شؤون المسلمين ؟!

مثل هذه الاسئلة كان بامكان معاوية ان يلقيها في وجه الامام (ع) ولم يكن للامام (ع) اي جواب مقنع يتقدم به امام الرأي العام الاسلامي بينما لو بادر الامام (ع) منذ البداية بعزله وتنحيته وعلى اساس انه يؤمن بعدم صلاحيته وبأنه شخص لا تتوفر فيه شروط الحاكم الاسلامي ولانه والي منحرف وهو بريء ولا يتحمل مسؤولية وجود معاوية كحاكم في الفترة السابقة اثناء خلافة عمر بن الخطاب او عثمان بن عفان لكان جوابه مقنعاً امام الراي العام الاسلامي !

النقطة السابعة : وهنا نفترض ان الامام علي (ع) لو كان قد أمضى حاكمية وولاية معاوية بن ابي سفيان لبايعه ولمنح الامام (ع) نقطة القوة . ولكن كل المؤشرات والقرائن التي كانت تكتنف موقف الامام (ع) تنبئ عن انه لم يكن ليبياع الامام (ع) لو أبقاه في ولاية الحكم وكل الملابسات التاريخية كانت لا توحي بصحة هذا الافتراض القائل " بأن امضاء حاكمية معاوية كأسلوب وكمرحلة يعني ان معاوية سوف يمضي خلافة الامام (ع) ويعطيه البيعة فأن معاوية لم يعص الامام(ع) لان الاخير عزله عن الولاية وانما كان ذلك – في اكبر الظن – جزءاً من مخطط لمؤامرة طويلة الامد (للأموية) الحاقدة على الاسلام . الاموية التي كانت تخطط لنهب مكاسب الاسلام بالتدريج . " فمعاوية كان عارفاً بالمعادلة القائمة حينئذ . ومدركاً ان الفرصة الان هي اسنح له من اي وقت آخر وكان يعلم ان الامام اذا هادنه فانما ذلك لضرورة استثنائية ولابد ان الامام سينهي هذه الهدنة عندما يتمكن منه وسيعمل لتصفيته وافناء قواعده لانه يعرف الامام جيداً وقد خبره في كثير من

المواقف الحاسمة ويعي مدى نظره واخلاصه . وكانت تصريحات معاوية وتصرفاته كلها توحي بأنه لم يكن ليبايع للأمام (ع) وكان يطالب بدم عثمان وقتل قتلته ويتهم اكثر اصحاب الامام (ع) وقادته بذلك .
وكان يوهم العامة من الناس ان المقام الذي يمتلكه انما هو حق طبيعي وكرامة إلهية من الله بها عليه .
فمن يقول في خطبة له بحضور مندوب الامام (ع) الذي جاء ليأخذ البيعة :
" غير ان الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننزعه طوعاً ماجاب الصدى وسقط الندى وعرف الهدى حملهم على خلاقنا البغي والحسد فالله نستعين عليهم ثم يمضي يقول : " ايها الناس اني خليفة امير المؤمنين عمرؤ بن الخطاب واني خليفة عثمان بن عفان عليكم " [١] " وقتل مظلوماً وتعلمون اني وليه " [٢].
وهو بهذا يمهد ليعلن نفسه خليفة للمسلمين بعد ان يجعل نفسه امتدادا للخلافة وكانت طماع معاوية في الخلافة لم تكن لتخفى على احد ولم يكن الجيش الذي اعده وهيأه الا ليحارب من يتولى الخلافة كائناً من كان لقد كان يضلل بدعوته الى اعادة الامر شورى بين المسلمين بعد ان يقتص من قتلة عثمان .
وكتب للإمام (ع) يقول :
" وقد ابى الناس الا قتالك حتى تدفع لهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم فلما فارقوه كان الحكام على الناس اهل الشام "[٣] .وهكذا قدر للمؤامرة (الاموية) ان تنفذ على مراحل كانت المرحلة الاولى منها هو ترسيخ وجود الاخوين في الشام يزيد بن ابي سفيان ومن بعده اخيه ومن ثم استقطاب اهل الشام عن طريق معاوية بتكريس بقائه هذه المدة الطويلة .
لقد كان معاوية يتحين الفرص لمقتل الخليفة عثمان لان مقتله سيمكنه من سلاح غير منظور يستطيع به الدخول الى ميدان الصراع مع الامام (ع) وعين هذه الحقيقة تفسر تباطؤه عن نصرة عثمان وبعد ان استنصره واستصرخه وكتب له مبينا بأنه يعيش لحظات الخطر الاخيرة ولكن معاوية يجيبه وكان معاوية – على اقل تقدير – قادراً ان يؤخر هذا المصير المحتوم (بخليفة عثمان) الى مدة اطول لو انه بادر لنصرته ولكن معاوية بالعكس كان يخطط يبقى هذا التيار الثوري ليمهد لسقوط عثمان على يد الثوار المسلمين قتيلاً وبعدها يأتي ويطالب مدعياً بأنه ابن عم الخليفة المقتول وولي دمه[٤] . ومن المعلوم ان معاوية لم تكن تتاح له هذه الفرصة الثمينة كل يوم فهي فرصة تلبي الامال والاطماع الاموية التي كان يحلم بها منذ ان دخل الاسلام معترك الحياة وذلك لكي ينهب مكاسبه ومنجزاته . هذه الفرصة الذهبية لم يكن من المضنون ان معاوية سوف يغيرها عن طريق الاكتفاء بولاية الشام بل ان ولاية الشام كانت مرحلة في تزعم ونهب كل الوجود الاسلامي وتجيره لاطماع بني امية . وهذا يعني ان تعيين وابقاء معاوية والياً على الشام سوف لن يكون على مستوى اطماعه في المرحلة الاولى والتي بدأت بمقتل عثمان بن عفان من مراحل المؤامرة الاموية على الاسلام .

---

[١] صفين / لنصر بن مزاحم ج١ ص ٣٢ .
[٢] ن . م / ص : ٨١ .
[٣] نقلاً عن سيرة الائمة الاثنى عشر ج١ / ص : ٤٦٨ .
[٤] صفين / نصر بن مزاحم ج ٨١ .

نستنتج مما سبق ان فرضية ركون معاوية الى البيعة لو أُقره الامام (ع) افتراض غير منطقي لا ينسجم مع طبيعة الاحداث والاشياء ..اما اسلوب المساومة وقبول انصاف الحلول فلم تكن الا اسلوباُ من اساليب معاوية لكسب الوقت واتخاذ جانب المظلوم ورفع شعاره لاغراء الناس به . ويمكن ان نشير الى كثير من الخسائر التي يمكن ان تمنى بها الحركة الامام (ع) وذلك بقبوله للمساومات ٠

الخسائر المتوقعة

١- امضاء الظلم واتخاذ المضلين عضداً ، وامضاء الاطروحة الاموية اللااسلامية .

٢- اضاعة فرصة التربية القيادية وذلك عن طريق لعب اوراق انصاف الحلول والمساومات .

٣- اضاعة الفرصة المؤاتية للقضاء على ألد اعداء الاسلام وذلك بالتفريط بحالة الصحوة الثورية للجماهير الاسلامية عقيب مقتل عثمان .

٤- ان المواقف المساومة وانصاف الحول تؤدي الى غياب وفقدان الرؤية الواضحة للاطروحة الصحيحة التي ينشدها الامام (ع) لامته التي ابتليت بها وغير ذلك من الخسائر والمضار التي اعتبرها الامام (ع) الكفر بعينه [١] .

النقطة الثامنة : الوضع الذي كان يعيشه الامام (ع) مع ملاحظة طبيعة الامة في ذلك الوضع لم يكن يوحي بالاعتقاد بان الامام عاجز عن امكان تحقيق النجاح في عمليته التغييرية دون اللجوء الى حل وسط . لان المفهوم الفقهي (لقانون التزاحم) انما يتحقق فيما اذا كان هناك توقف بالفعل وهو توقف الواجب الاهم على المقدمة المحرمة فاذا توقف هذا الواجب الاهم وتأكد انه لا يمكن التوصل اليه الا عن طريق هذه المقدمة المحرمة ولن كل الظروف انذاك لم تكن توحي او تؤدي الى اليقين بمثل هذا التوقف وذلك لان المؤامرة التي اضطلع بمسؤولية احباطها الامام(ع) لم تكن قد نجحت بعد بل كانت الامة في يوم قريب سابق عن يوم مصرع عثمان كانت قد عبرت تعبيرا معاكساً ومضادا لواقع هذه المؤامرة ولمضمونها .

صحيح ان المؤامرة على وجود الامة واصالتها تمتد جذورها تأريخياً الى امد طويل الى ايام الجاهلية ولكن الامة التي سهر الرسول (ﷺ) لكي يمنحها اصالتها وكرامتها وشخصيتها ووجودها الحضاري نرى حتى ان الرسول (ﷺ) نفسه الزم نفسه وقد الزمه ربه في الكتاب الكريم بضرورة التشاور مع المسلمين وذلك من اجل تربيتهم نفسياً واعدادهم لتحمل مسؤولياتهم واشعارهم بأنها الامة الجديرة بتحمل مسؤوليات هذه الرسالة العظيمة التي انزلت رحمة للعالمين . ولكن المؤامرة ومخططها بدأوا يعملون بالتدريج للقضاء على وجود الامة نواصالتها وتحويل وجودها الى سلطنة وملك عضوض ، حيث تمت مصادرة الوجود الإسلامي الاصيل للأمة واعطي لهذا الوجود للحاكم والسلطان ٠هذا البديل لم يبرزه عمر في زمانه بل اسرها في نفسه ولكنه عبر عن هذا البديل بكل صراحة حينما اغتيل وحينما طلب منه حاشيته المتملقون ان يوصي بعده والا يهمل أمة محمد (ﷺ) بدون تعيين وقد قال عمر حين طلب منه الناس الاستخلاف :

---

[١]) التسخيري ، من حياة اهل البيت / ص : ١٦٢ – ١٦٣ .

" لو ادركني احد رجلين لجعلت هذا الامر اليه ، لوثقت به سالم مولى ابي حذيفة وابي عبيدة الجراح ولو كان حياً ما جعلتها شورى " [1]اذن من هذا النص " ان الخليفة لم يكن يفكر بعقلية نظام الشورى ولذا ان عمر يسند الأمر الى ستة اشخاص ويوكل أمر التعيين الى الستة انفسهم دون ان يجعل لسائر المسلمين اي دور حقيقي في الانتخاب . والخليفة عمر بعمله هذا كان متحفظاً لانه لم يعين واحداً وانما وضعها في ستة انفار هذه الادعاءات كانت تقال خارج نطاق دستور الدولة .. اما في نطاق الدستور كانت لا تزال الصيغة الاسلامية الصيغة المعتمدة التي تنص على : " ان المال مال الله والناس سواسية والمسلمون كلهم عبيد الله لا فرق بين قرشيهم وعربيهم واعجميهم او بين مسلم واخر " . هذه الصيغة الدستورية استمرت حتى في عهد عثمان ولكن ولاته الأمويين بتغطرسهم وعجرفتهم وتهورهم كانوا يترجمون الواقع السيء وينطقون به والواقع هو غير الدستور المكتوب الذي يعترف نظرياً بأن الأمة هي صاحبة الرأي وسيدة الموقف وان ارض السواد هي ملك لها . هكذا كان الامر .. وهذا يعني ان عناصر المؤامرة المخطط لها لم تستكمل شروط نجاحها بعد ، بالرغم من كل هذه المقدمات والارهاصات النظرية والعملية فالظروف والملابسات التي احاطت بالامة انذاك لم تكن لتؤدي الى يأس بل كانت تؤدي الى أمل بقهر الانحراف . وما حدث من خلال سني حكم الامام (ع) الاربعة كان يؤكد هذا الأمل ، فالامام (ع) استطاع ان يسيطر على الموقف بسهولة ولولا مسألة التحكيم ولولا شعارً طرح من قبل معاوية (رفع المصاحف) ينعكس بشكل خاطئ لدى جماعة معينة من جيش الامام (ع) وتشق صفوفه ..و هذا لكان بينه وبين معاوية وتصفيته الى الابد بضعة امتار وقليل من الزمن .

وبعد ان ادركنا كل هذه الحقائق نرى ان امل الامة واعتقادها في ان علياً (ع) يمكنه ان يحقق الهدف ويعيد للأأمة وجودها وكرامتها من دون حاجة الى المساومات وانصاف الحلول يكون امل الامة هذا معقولا وراجحاً ... ومن هنا كانت نظرية الامام (ع) بأنه لم يكن هناك اي مجوز يقوده لمزالق المساومات وانصاف الحلول .

وهكذا كان (ع) وظل امامنا العظيم صامداً مواجهاً لكل المؤامرات التي كانت الامة المغفلة تساهم في صنعها وحياكتها على أساس جهلها وعدم وعيها وشعورها بالدور الحقيقي الذي يمارسه الامام (ع) في سبيل حماية وجودها من الضياع وحفظ كرامتها من ان تتحول الى سلعة يساوم عليها بالبيع والشراء ، حتى خر صريعاً في مسجده وخاب باستشهاده الامل الذي اعتمل في نفوس الواعين وانتهى اخر امل حقيقي في قهر الانحراف وقدر للمؤامرة ان تتضج وان تؤتي مفعولها في التأريخ الاسلامي . وان نجاح المؤامرة في فهم الامام علي (ع) لم يكن عني القاء السلاح ، بل يتحدث الى ولديه ليقول لهما : " نعم يا ولدي لقد نجحت مؤامرة اغتيالي ولهذا سوف تشردون وتقتلون انتم وشيعتكم ... ولكن هذا يجب لا يفت في عضدكم لان المعركة لم تنتهي بعد يجب ان تقاوم حتى تقتل مسموماً ويجب ان يقاوم اخوك الحسين حتى يقتل بالسيف ولابد ان يستمر الخط حتى بعد ان سرق من الامة وجودها لان محاول استرجاع الوجود اذا بقيت حية في اذهان الامة فسوف يبقى نفس الجهاد فيها ، ويبقى هناك ما يحصن الامة ضد التميع وفقدان الارادة لان الامة حينما

---

[1] طبقات ابن سعد : ٢٤٨/٣ .

تتنازل عن ارادتها وشخصيتها للطاغوت حينئذ تكون عرضة للتميع والذوبان في اتون هذا الطاغية وذلك الجبار ... ولكن اذا بقي لدى الأمة محاولة استرجاع هذا الوجود باستمرار ، فهناك أمل في ان تتمكن الأمة من استرجاع وجودها وعلى اقل تقدير سوف تحقق هذه المحاولة كسباً آنياً باستمرار وهو تحصين الامة ضد التميع والذوبان المطلق في ارادة واطار الحاكم الطاغية .. وهذا ما وقع لاهل البيت (ع) .

" وفي نصف القرن الأول بعد وفاة النبي (ﷺ) كانت القيادة الشعبية – بعد اقصائها عن الحكم – تحاول باستمرار استرجاع الحكم بالطرق التي تؤمن بها ، لانها كانت تؤمن بوجود قواعد شعبية واعية او في طريق التوعية من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ولكن بعد نصف قرن – وبعد ان لم يبق من هذه القواعد الشعبية الشيء المذكور ونشأت اجيال مائعة في ظل الانحراف – لم يعد تسلم الحركة الشعبية بقيادة اهل البيت (ع) للسلطة محققاً للهدف الكبير لعدم وجود الوقاعد الشعبية المساندة بوعي وتضحية .

وأمام هذا الواقع كان لابد من عملين :

احدهما : العمل من اجل بناء هذه القواعد الشعبية التي تهيء ارضية صالحة لتسلم السلطة .

والآخر : تحويل ضمير الامة الاسلامية وارادتها والاحتفاظ بالضمير الاسلامي والارادة الاسلامية بدرجة من الحياة والصلابة تحصن الأمة ضد التنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحرفين .

والعمل الأول ، هو الذي مارسه الأئمة (ع) بأنفسهم والعمل الثاني هو الذي مارسه ثائرون علويون كانوا يحاولون بتضحياتهم الباسلة ان يحافظوا على الضمير الاسلامي والارادة الاسلامية وتكان الائمة (ع) يسندون المخلصين منهم [1].

شهادة الامام علي في الميزان :

وباستشهاد الامام (ع) قضت قوى الردة على آخر أمل في اعادة خط التجربة الصحيحة ذلك الامل الذي اختلج في نفوس المسلمين الواعين متجسداً بأمامهم العظيم (ع) الذي عاش منذ اللحظة الاولى من تسلمه لزمام الخلافة هموم الدعوة وشارك في بنائها لبنة لبنة وأقام صرحها مع الرسول (ﷺ) ورافقه معه كل مراحل الدعوة بكل مشاكلها وهمومها وآلامها . ولهذا كانت حادثة اغتياله الغادر تقويضاً حقيقياً لآخر امل حقيقي لقيام مجتمع اسلامي صحيح . فقد خر الامام (ع) مضرجاً بدماء الشهادة الطاهرة وهو في محراب الصلاة فقال : فزت ورب الكعبة !لنضع علياً في الميزان وهو في آخر لحظة من لحظات حياته (ع) حينما صرخ : فزت ورب الكعبة .. هل كان (ع) اسعد انسان او كان اتعس انسان ؟

للاجابة على هذا السؤال ، هناك مقياسان في هذا المجال فتارة نقيس الامام (ع) بمقياس مادي (دنيوي) صرف وآخر نقيس الامام بمقياس – قرآني – إلهي .

فلو كان الامام (ع) قد عمل للدنيا ولزعامتها الدنيوية فهو ولا شك اتعس انسان وليس هناك اتعس حظاً منه لانه (ع) بنى كل ما بنى واقام كل ما اقام من صرح حيث شارك رسول الله (ﷺ) في بنائها لبنة لبنة ورافقه في

---

[1] بحث حول الولاية / الشهيد الصدر / ص : ٩٤ – ٩٥ .

كل مراحل الدعوة للإسلام ثم يحرم (ع) من كل هذا الجهد والبناء ومن كل هذه الصروح ؟ هذا الاسلام الشامخ العظيم الذي امتد شرقاً وغرباً بني بدم علي (ع) وبخفقات قلبه وآلامه لقد كان (ع) شريك البناء بكل محنه وكوارثه ومآسيه ... اي لحظة محرجة وجدت بتاريخ هذا البناء لم يكن علي (ع) حاضراً فيها وهو القائد الشجاع الذي تتجه اليه انظار المسلمين جميعاً من اجل ان ينقذ عملية البناء ولم لا وهو الامام الحق الذي خبرته الجماهير في تضحياته من اجل الاسلام حيث لم يتردد في ان يضع دمه على كفه في كل غزوة ومعركة وكل تصعيد جديد لهذا العمل الاسلامي العظيم . وقد كان لجهاد علي (ع) الأثر الكبير لقيام دولة مترامية الاطراف ، حيث اتسعت دولة الاسلام بسيفه وأرسيت دعائمها بدمه الطاهر الشريف .

التبرك بالامام علي عليه السلام عند المسلمين

عن ابي بصير قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالسا إذ اقبل امير المؤمنين عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: (ان فيك شبها من عيسى بن مريم ولولا ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولا لا تمر بملأ من الناس الا اخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة...)[1].وعن ابي عبد الله عليه السلام قال: نحن نقول بظهر الكوفة قبر لا يلوذ به ذو عاهة الا شفاه الله [2].

التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام

روى الشيخ الكليني قدس: عن سمعة قال: قال لي ابو الحسن عليه السلام: إذا كان لك حاجة يا سماعة إلى الله جل وعلا فقل: (اللهم اني اسالك بحق محمد وعلي فإن لهما عندك شأنا من الشان وقدرا من القدر، فبحق ذلك الشان وبحق القدر ان تصلي على محمد وال محمد، وان تفعل بي كذا وكذا، فانه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن الا وهو يحتاج اليهما في ذلك اليوم) [3].

روى الشيخ المفيد قدس: ثم ادع فقل: (اللهم اني اسالك بحق محمد نبيك، وعلي وليك، وبالشان والقدر الذي خصصتهما به دون خلقك ان تصلي عليهما وعلى ذريتهما) [4]، اللهم اني اسالك بحق محمد نبيك، ونجيك، وصفوتك، وامينك، ورسولك إلى خلقك، وبحق امير المؤمنين، ويعسوب الدين، وقائد الغر المحجلين... اللهم اني اسالك بحق محمد وال محمد ان تصلي على محمد وال محمد، وان تلعن من جحد هذا اليوم، وانكر حرمته...)[5].

الخاتمـــــة

عندما نتحدث عن الامام على عليه السلام نستنطق المسيرة بصورها المختلفة ومحاورها المتعددة الخط الاسلامى المعتمدعلى العلم والمعرفة هو الخط الاصيل الذى يتحرك فيه ، الامر الذى يجعل المعرفة امرا

---

(1) الكافي للكليني ج٨ ص٥٧.

(2) التهذيب ج٦ ص٣٤ ح٧٠.

(3) الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٥٦٢ باب الدعاء للكرب والهم والحزن ط: طهران– دار الكتب الاسلامية.

(4) المقنعة الشيخ المفيد ص٢٠٥ باب صلاة يوم الغدير واصلها ط: مؤسسة النشر التابة لجماعة المدرسين.

(5) المصدر ص٢٠٦.

حيويا على مستوى العقيدة في الخط الخاص والعام ونحن عندما نتحدث عن ائمة اهل البيت عليهم السلام انما نتحدث عن الاسلام برحابته فكرا وبشموليته نهجا ودرب حياة وحينما ندخل في عالم ائمة اهل البيت يجب ان يكون القران الكريم خطا لنا في البداية والنهاية وان يكون الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام وعلى اله بيته الشريفة وعظمتها والتجدد والانطلاق فيها عنوانا ثابتا لنا ، وعندما نتحدث عن ائمة اهل البيت عليهم السلام فاننا نتحدث عن قمم الروح والفكر والجهادوالانفتاح على الواقع الاسلامى كله من موقع الريادة والمسؤولية ،قصتنا مع اهل البيت قصة رسالة قصة اناس يمثلون كل الحقيقة وكل الطهر والنقاء،والولاية لاهل البيت ليس نبضة قلب وخفقة احساس، ولكنك لا يسعك الا ان توالي الله فتطيعه وتوالى رسول الله فتتبعه وتوالي اهل البيت فتتحرك مع منهجهم منهج اهل البيت اغنى الواقع الاسلامى واجاب عن الكثير من الاسئلة التى تكون جوابا على اكثر من سوال معاصر واغنى الواقع الاسلامى برؤية ثاقبة لمحاور العلم والمعرفة كافة،فلذلك عندما نقف مع سيرة الامام علي عليه السلام وهو حلقة من حلقات الموصلة االى خاتم الائمة الحجة ،كما هو عيسى عليه السلام الحلقة الموصلة لخاتم النبيين النبي الاكرم والرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وعلى اله ومن خلال دراستنا لحياة الامام وجدنا ان ما له من الصفات والمعجزات تميزه لنعتبره حقا نقطة تحول وامتداد المعرفي والحركي للنبوة وليس قيادة الدولة الادارى للحكم في الامة فقط بل تمثل الامامة عند الامام القيام بالدور الرسالي في الدعوة والتربية والمواجهة للتحديات الفكرية المضادة وان سيرة الائمة الاطهار بحاجة الى دراسة توثيقية تحليلية واسعة لنستوحى منها اكثر من خط فكرى واخلاقي وروحي واجتماعي على مستوى النظرية من المنهج العام وقد ينفتح الدارسون ،من هذه السيرة العطرة على الكثير من مفردات الثقافة الاسلامية لمختلف جوانبها الفقهية وغيرها بضرورة عدم ابعاد منهج اهل البيت عن الثقافةالتى فرضتها ذهنية التخلف ،وما هذا المؤتمر الا حلقة رائدة في هذا النهج البحثي الاصيل ان شاء الله تعالى.وهذا جهد مبارك موفق ان شاء الله بذلته التمس واقول (ضجت اليك الاصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات وحاجتى اليك ان تذكرني عند البلى اذا نسيني اهل الدنيا)

المصادر والمـــــــراجع

١- القرآن الكريــم

٢- الاندلسي،ابن حيان ،تفسير المحيط ،مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط٢.

٣- ابن الاثير ابو الحسن على بن ابي الكرم (ت ٥٥٥ هـ/٣٦٠ هـ ،الكامل في التاريخ تعليق عبد الوهاب النجار المطبعة مؤسسة التاريخ العربي ،بيروت ١٩٨٩ م.

٤- الذهبي،شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ،ت (٧٤٨هـ) ، سير اعلام النبلاء،دار الفكر ،ط١، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٧م .

٥- الحاكم النيسابورى ،محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ/١٠١٥ هـ)المستدرك على الصحيحين تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،مطبعة دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٩١م

٦- الحسينى ، المرتضى بن الداعي الحسيني ،(ت١٠٤٤هـ) ،تبصرة العوام في مقالات الانام مطبعة طهران ،قم ،١٣٢٧هـ.
٧- الخوارزمي ،محمد بن موسى ، المناقب ، مطبعة دار البلاغ ، قدم له سيد محمد رضى الموسوي.
٨- الصدوق ،ابو جعفر محمد بن علي ،اكمال الدين وتمام النعمة، صححه وعلق عليه علي اكبر غفاري ،مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي، ايران ،١٤٠٥هـ.
وكتاب الخصال ،مؤسسة الاعلمي ،لبنان ،بيروت .
٩- الطبري،محمد بن جرير ،(ت ٣١٠هـ-٩٢٢م)، تاريخ الطبري ،مؤسسة الاعلمي ،بيروت .
١٠-ابن قتيبة الدينوري،عبدالله بن مسلم ،الامامة والسياسة ،مؤسسة الحلبي ، القاهرة.
١١-بن قولويه،الشيخ جعفر بن قولويه، كامل الزيارات ، باب ٨٨،فصل كربلاء وزيارة الحسين عليه السلام،مطبعة دار المرتضى ، بيروت .
١٢-ابن كثير ،ابو الفداء الحافظ، ت(٧٧٤هـ)، البداية والنهاية ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،٢٠٠١م.
١٣- الكليني ، ابي جعفر بن محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني،ت (٣٢٨هـ) ، تصحيح وتحقيق علي اكبر الغفاري ، مطبعة حيدري ،دار الكتب الاسلامية ، طهران.
١٤- المدرسي،هادي ، الاسلام منهج الحياة ، مطبعة دار البيان العربي ،بيروت ،١٤١٠هـ.
١٥- الموسوي، الشريف الرضي ،نهج البلاغة ،ولكن الطبعة التي اطلعت عليها للسيد محمد الحسيني الشيرازى ، مطبعة دار العلوم ، ط٣ ،١٤٣١هـ/٢٠١٠م لبنان.
١٦- المفيد ،الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، باب مختصر من كلام علي عليه السلام ، قم ،سعيد بن جبير ،ط١.
وكتاب المقنعة ، باب صلاة يوم الغدير، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين .
١٧- المجلسي ،الشيخ محمد باقر الاصفهاني ،ت (١١١١هـ)، بحار الانوار الجامعة لدرر الائمة الاطهار ،مطبعة الامين،بيروت ،٢٠٠٨م.

المجلات

١- مجلة زهور الجوادين ، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٢- مجله الرسول الاعظم ، محرم الحرام ،١٤٢٩هـ،مركز الرسول الاعظم للدراسات الاسلامية .
٣- من اصدارات العتبة العباسية (النبي الاكرم واهل البيت في صحيح البخاري)،العدد ٦.